لم يكن العصر الجاهلي كما تصوره الأساطير حقبة ظلام وجهل، بل زمنًا ازدهر فيه العقل والبيان، حيث أبدع العرب ألوانًا من الفكر واللغة شكلت أساس النهضة الإسلامية لاحقًا. لقد امتلك العربي ذهنًا حادًا وذاكرة قوية تجلت في شعره، وخطابته، وحكمه، وأمثاله، ونظرته العميقة للوجود. اللغة العربية، جوهر وجودهم وهويتهم، امتازت بجمال إيقاعها ودقتها وغزارة مفرداتها، فكانت مرآة العقل ووعاء تراثهم وناقل حكمتهم وشعرهم، وتنافسوا بها في مواسمهم الأدبية. كان الشعر ديوان العرب ومنبر فكرهم وإبداعهم، يسجل المآثر والمشاعر وينقل التجارب الإنسانية. هو سجل تاريخي وصوت قبلي ومصدر للحكمة، وتناولت قصائده الفخر، والحرب، والغزل، والحكمة. تُوِّج هذا الفن بالمعلقات التي علقت على جدران الكعبة فخرًا. في النثر والخطابة، برزت بلاغة العرب وقدرتهم على الإقناع. تميزت الخطابة بالقوة والمنطق وسرعة البديهة، واستُخدمت للدفاع عن القيم وفض النزاعات وإلهام الجماهير، ومن أبرز خطبائهم قُس بن ساعدة وسحبان وائل. الأمثال والحكم لم تكن مجرد عبارات قصيرة، بل عصارة الفكر الجمعي وتجارب الحياة، اختزلت الحكمة في جمل بليغة ودقيقة لتوجيه السلوك والتعليم. كان العربي الجاهلي فيلسوفًا بالفطرة يعبر عن تجاربه بإيجاز وحكمة. أما الحياة الدينية، فمع عبادة الأصنام والأوثان، آمن العرب بوجود إله أعظم هو "الله". وُجدت فئة "الحنفاء" التي نبذت الوثنية وسعت للتوحيد، ومارس العرب التأمل في الكون والخلق، متسائلين عن المصير والحياة. هذه البذور مهدت للنور الإيماني الذي أشرق بالإسلام. شكلت القبيلة نواة التنظيم السياسي والاجتماعي، وقام نظامها على الشورى والولاء والعصبية. احترم العرب الكرم، والنجدة، والوفاء بالعهد، فصنعت هذه القيم إنسانًا حرًا أبيًا يعتز بفكره وشرفه. امتلك العرب معارف واسعة في الأنساب، والنجوم، والطب، والأنواء، والتاريخ، معتمدين على الملاحظة والتجربة، فكانوا علماء بالفطرة يهتمون بمعرفة الظواهر الطبيعية وتنظيمها بلغة الشعر والحكمة. كان فكرهم مقدمة لفلسفة الحياة في العصور اللاحقة. خاتمة: لم يكن العرب في الجاهلية أمة جهل، بل أمة فكرٍ وبيانٍ وذكاءٍ فطريّ. تجلى عقلهم في لغتهم وشعرهم وفكرهم وإبداعهم في فهم الحياة، وكانت هذه المظاهر العقلية الشرارة التي أنارت طريق الحضارة الإسلامية فيما بعد، وجعلت من العرب روّاد الفكر الإنساني في أبهى صوره.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي